اعرف نفسك!! [1]

الناس يتفاخرون في هذه الدنيا بحسبهم وأسمائهم ونسبهم فلربما يفتخر الإنسان بنفسه ومنصبه على أنه الدكتور الفلاني أو المهندس الفلاني أو ما شابه ذلك ونحن لا نقلل من شأن أحد ولكننا نحترم كل الناس على اختلاف مسمياتهم ونوعية أعمالهم ولكن مطلوب من الإنسان من كل إنسان من بنى آدم أن يتعرف على نفسه أكثر من ذلك و ألا ينسى أصله الذي خلق منه وهذا أدعى له أن يعيش عيشة هنية مرضية متواضعة بين الناس والسؤال لكل إنسان:

س: هل تعرف نفسك؟

ج: اعرف نفسك بنفسك من خلال آيات القرآن ومن خلال سنة خير الأنام.. كل إنسان له شهادة ميلاد وأكثر الناس لهم شهادة الميلاد والبطاقة الشخصية أو العائلية تحمل في بياناتها: الاسم. تاريخ الميلاد. نوع العمل. محل الإقامة. هذه هي أهم البيانات التي تعرف عن كثير من الناس ولكن لا زلت أطرح السؤال وأقول هل تعرف نفسك؟ اعرف نفسك بنفسك من القرآن وسنة خير الأنام.

أولاً الاسم: من ماء مهين ابن التراب والطين:

نعم كلكم لآدم وآدم من تراب فالإنسان خلق من ماء مهين أي من جزء من هذا الماء الحيوان المهين وليس من كل الماء.

(1) فكرة العنوان للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي.

قال تعالى:{أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾} [المرسلات: ٢٠ - ٢١].

قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾} [المؤمنون: ١٢ - ١٣].

قال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦]، فتذكر أنك ابن التراب والطين الذي تطأه بقدمك.

ثانياً الوظيفة: عبد عند رب العالمين:

نعم.. ما من مخلوق في هذا الكون إلا وهو يعبد الله جل في علاه على اختلاف الأجناس والألوان من حيث الفطرة.

قال ربنا:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦].

قال ربنا: في سورة مريم:{إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وقال أيضاً:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ٩٤].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم :"**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة (أي الإسلام) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**- متفق عليه.

وجاء وصف القرآن لكثير من الأنبياء بلفظ العبودية وهو أفضل الألفاظ لأنك عبد الله وليس للشيطان أو لكذا.

قال تعالى في حق نبيه:{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى عن نوح:{إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣].

وقال تعالى عن أيوب وسليمان وداود:{نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ} [ص: ٣٠]، واعلم أيها الشاب الصغير حينما تتطاول على شيخ مسن كبير فقد أخطأت في حق رب العالمين تذكر أن هذا الشيخ المسن الكبير عاش قبلك سنين وعبد الله رب العالمين فله الأسبقية في عبادته لله رب العالمين. وأنت أيها الشيخ الكبير حينما تظلم شاباً صغيراً فقد أخطأت خطأ جسيماً لم يغن كبر السن لك فأنت قد عصيت الله كثيراً وقبل هذا الشاب.

قال صلى الله عليه وسلم :**"تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة-.**

ثالثاً: الإقامة الحالية (أيام قلائل على ظهر الأرض):

مهما طال العمر بالإنسان فهو ميت لا محالة فمهما طال العمر فلابد من دخول القبر ولابد من الحساب والعرض وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم : يصف حقارة هذه الدنيا:**"مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها-.**

وها هو نبي الله نوح يقول: (مثلي ومثل الدنيا كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) وهو أطول الأنبياء عمراً.

وكما يقول القائل:

إن لله عبـــــادا فطنـــــاً ::: طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا ::: أنهـا ليسـت لحـي وطنـا
جعلوهـا لجـة واتخـذوا ::: صـالح الأعمـال فيهـا سـفنا

رابعاً الأعداء: إبليس والنفس والهوى والدنيا:

ما من إنسان إلا وله أعداء قال الشاعر:

إني بليت بأربع ما سلطوا ::: إلا لشدة شقوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ::: كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وعن الشيطان قال ربنا:{إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦].

وعن الدنيا قال ربنا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾} [فاطر: ٥].

وعن النفس:{وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ} [يوسف: ٥٣].

وعن الهوى:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣].

خامساً الهدف: إرضاء الله ثم الجنة:

كل إنسان مسلم عاقل يرجو رضا الله تبارك وتعالى ورضى الله في اتباع تعاليمه، قال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

قال صلى الله عليه وسلم :**"ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وهى الجنة-**

سادساً: الطريق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم :

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يدع لنا بابا من أبواب الخير إلا ودلنا عليه ولم ولم يترك باباً من أبواب الشر إلا وحذرنا منه. قال تعالى:{أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: ٥٩].

قال تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

قال صلى الله عليه وسلم :**" تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ**

اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ- صحيح مسلم.

سابعاً المؤهل: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله):

فأول ما يولد المولود يؤذن في أذنه وتقام الصلاة وإذا أراد المشرك أن يدخل في الإسلام ينطق بالشهادتين وإن كان على فراش موته ينطق بالشهادتين وفي قبره يسال عن كلمة التوحيد.

قال ربنا:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: ٢٤].

ثامناً الإقامة الدائمة: إما في الجنة وإما في النار:

قال ربنا:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣ - ١٤].

فالدنيا دار ولكنها دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له والقبر أول منازل الآخرة ثم الاستقرار في أحد الدارين إما جنة أبداً وإما الأخرى النار والعياذ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم :"**يؤتى بالموت على هيئة كبش أقرن ويذبح على الصراط وينادى مناد من أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت**-، وينادى على أهل الجنة:{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣].

وختاماً ينادى على أهل العصيان:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

أقول لك: هل عرفت نفسك اعرف نفسك بنفسك قبل أن تندم وهذا هو الإنسان وهذه هي حقيقة الإنسان.

الحكمة من مولده صلى الله عليه وسلم يتيماً

إذا كان اليتم في حق البشر معيرة فإنه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم مفخرة ولم لا وقد جاءت البشارات التي تدل عليه بأنه يتيم وإذا كان اليتيم يأخذ الصدقات والزكوات فإنها محرمة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد حفظ الله نسب النبي صلى الله عليه وسلم في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات فلم يصبه من سفاح الجاهلية شئ قال تعالى:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨]، بفتح الفاء عبد الله بن قسيط المكي، وهذا يقتضي مدحًا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم :**"خلقت من نكاح ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء فأنا خيار من خيار-.**

ولو كان في نسبه شبهة:

- لعيره قومه في مكة حينما قال:{إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبأ: ٤٦].

- لعيره أهل المدينة (اليهود والنصارى) حينما دعاهم إلى عبادة الله).

يقول الشاعر:

نسبه كأن عليه من شمس الضحى نوراً ::: ومن فلق الصباح عموداً
وما فيه إلا سيد من سيد ::: حاز المكارم والتقى والجودا

هل أتاك حديث راعى الغنم الصغير اليتيم محمد بن عبد الله الذي رعى الغنم في مكة ثم رعى البشرية بأسرها نعم محمد اليتيم.

روى مسلم سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف نسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ::: وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ::: حد فيعرب عنه ناطق بفم

يقول تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} [الضحى: ٦].

المعنى: ألم تكن يا محمد يتيماً في صغرك فآواك الله إلى عمك أبى طالب وضمك إليه؟ قال الحافظ ابن كثير: وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنين ثم كان في كفالة جده (عبد المطلب) إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره حتى ابتعثه الله على رأس الأربعين وأبو طالب على عبادة الأوثان ومع ذلك كان يدفع الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾} [الضحى: ٩].

(تقهر) قلقلة في حرف القاف الساكن فالقهر شيء قلبي داخلي لا يشعر به إلا المقهور يحس به ويتوجع ولا يكاد يبين فيقهر قلبه ولا يستطيع الإفصاح عما بداخله.

(وأما السائل فلا تنهر) إظهار في النون الساكنة فعندما ينهر من المسئول يظهر على وجهه أنهار الدم تجرى في عروق جبينه وقد لا يتألم قلبه فهو يتأثر ظاهراً فقط بخلاف اليتيم الذي يقهر باطنه.

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} [الضحى: ٦].

يقول ربنا على لسان فرعون في حق موسى عليه السلام:{أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} [الشعراء: ١٨].

فكيف يأتي الخطاب من الله لنبيه:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} فكيف ما يذم من فرعون يحسن من الله ويجدر من الله؟

نقول: إن قول الله على لسان فرعون جاء من قبيل الذم والمن والمباهاة والمفاخرة وهو امتنان.. لأن الغرض فما بالك لا تخدمني وامتنان الله تعالى بزيادة نعمه كان يقول (مالك تقطع عنى رجاءك ألست شرعت في تربيتك فإنك بأعيننا ولابد وأن أتم عليك وعلى أمتك النعمة كما قال (ولأتم نعمتي عليكم).

اليتيم سرعان ما تظهر أخطاؤه وتنكشف بين الناس ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له خطأ مع أن اليتيم يزداد عيباً على عيبه وكم من آباء عاشوا لأبنائهم إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا لهم شيئاً وإنما هي اختبار واصطفاء:{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]، وكم من أطفال مات آباؤهم وتبوأوا أعلى الدرجات وهناك من عاش آباؤهم وكانوا في أسفل الدركات.

وقد قيل لجعفر الصادق: لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم قال: لئلا يكون لأحد عليه فضل.

* * *